الكلمة الأخيرة في الحوار

في ايلول الماضي ، التقيت لاول مرة بكاتب صحفي من ليبيا ، في مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا في طشقند . كان ذلك الكاتب مركبا من الرجعية والكذب وعبادة الملك . وعندما فوجئنا بالثورة الليبية في ايلول الجاري تذكرت ذلك الصحفي الذي شكل لقائي به مدخلا الى ليبيا في هذه القصيدة .

والفت نظر القارىء الى ان اطلاق تعبير « نعم » و « لا » على الاشخاص في هذه القصيدة مستعار عن تجارب شعراء آخرين اطلقوا هذا التعبير على اسماء اماكن .

* * *

شمسها .. كانت بعيده
ولعلّ الناس فيها كفروا بالانتظار .
هكذا يبدو لنا ، للوهلة الاولى
تموت الحركه
ويصير الحلم ، حتى الحلم أقسى
معركه .
غابة البترول كانت تأكل الضوء الذي
يولد في بطن قصيده
والعقيده
عاهة في ليبيا . كان الحصار
كان يأتيها من الداخل . آمين
لوجه الملك الطالع من كل جدار
وجريده ..

***

.. وأنا أذكر وجهاً صحفياً
اسمه كان « نعم »
كان في طشقند .. في مؤتمر الكتّاب
مندوباً عن النفط ، وعن عرش الملك
فارساً كان ، له سيفان :
سيف مستعار من حزيران
وسيف من « نعم » ..
قال لي في قاعة المؤتمر : الآن عرفنا المتهم

قلت : مَن ؟
قال : الذي باع الوطن
لعصابات اليهود
قلت : لا أفهمُ
قال : الاشتراكيون والانظمة المستورده !.

واستمعنا لخطاب الكاتب الهندي
عن دور القلم
قال : ان القلم الساطع في عالمنا الثالث
جندي لتفتيت القيود
وعدو .. لنعم

***

شمسها .. كانت بعيده
شمسها كانت على ظهر بطاقات البريد
ملكاً يدفن في سرواله الابيض شعبا
ملكاً يصنع شعبا
من مواليد القيود ..
ونسيناها ، نسينا لغة الاطفال
في تاريخها القادم توّا
من خيام بدويّه
وحسبنا أن أرقام النجوم العربيّه
مصدر للعار — يا للعار —
وادينا بلا زرع ، فقلنا : آه
يا ظلم ذوي القربى ، ونهر القادسيّه .

اوقفي موتك يا أمّتنا
ساعة ، كي نفرح الآن
بعتق الجاريات العربيات
وكي نذكر ما كان .. وما لم يكن الليلة
الاّ أبجديّه ..

ليبيا ، جارية تخرج من أغلالها
وأبو بكر يعود الآن من مكّة
محمولا على صوت بلال
هذه الصحراء لا صحراء فيها ..
تأخذ الاكتاف آفاقاً . وينساب المحال
جدولاً . والحكم شورى
كلكم راعٍ ومسؤول . وجند الاحتلال
والحصار الداخلي
يسقطون الآن عن ظهر الحصان المغربي

***

.. وأنا أذكر وجهاً صحفياً
كان في طشقند ، في مؤتمر الكتّاب
مندوباً عن البترول في ليبيا ،
وعن عرش الملك .
قال في خطبته : « ان الملك
رائد الحرية ، والنهضة ، والفكر » .
فنمنا في المقاعد
خجلاً من وجه افريقيا وآسيا
وتهامسنا ، ومزّقنا الجرائد .
كان في مؤتمر الكتّاب
مذياعاً لاخبار الملك
كان حبراً فوق أختام الملك ،
وافتقدنا صوت ليبيا .
وعلى مائدة الابحاث في مؤتمر الكتّاب :
شمس وحكومه
وعذاب العالم الثالث في سعي الملايين
الى العصر الجديد ..

***

ليبيا شاحبة الوجه
جميل وجهها الآن .. جميل
ونجوم الصيف لا حصر لها ،
أرقامنا الآن زغاريد واقواس نخيل
يكبر التفّاح في الشام ،
وفي أسوان يزداد الندى والكهرباء
وعيون الشهداء
تحمل القدس على زيتونة الارض
الى حقل السماء .

ليبيا ، تسقط سلطان الألمْ
وتعود الآن من غربتها ..
تنهضُ من سفر العدم
كان دخل الفرد أمتاراً من المال
وكان الفرد للدولة
والدولة اشخاص يسمّون : « نعم »
وأنا أذكر وجهاً صحفياً
كان في طشقند ، في سبتمبر الماضي ،
سفيراً لنعم
كان مندوباً عن الكذبة في مؤتمر الكتّاب
لا أذكره الاّ لكي أنساه .
في سبتمبر الجاري أطاحت كفّ « كلاّ »
بتماثيل « نعم » ...

الارض المحتلة **محمود درويش**